ملخص البحث

هذا البحث: (تفسير قوله تعالى : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ تفسيراً عقدياً) يدور حول استدلال نفاة رؤية الله تعالى بالآية المذكورة إذ تعتبر هذه الآية طليعة أدلتهم السمعية على مذهبهم ! هذا فـضلاً عـن الـشبهات العقلية التي استندوا إليها .

وقد انعقد إجماع السلف على إثبات رؤية الله تعالى في الدار الآخرة ، واستند إجماعهم إلى أدلة كثيرة مـن الكتاب والسنة بلغت حد التواتر ، واعتبروا من نفاها مبتدعاً وضالاً ، وربما كفروه .

ومع استحضار تبديع السلف لهم ؛ فهل في هذه الآية ما يدل على ما ذهب إليه النفاة ؟! وهل في القرآن ما يدل على خلاف ما ذهب إليه السلف في مسائل الاعتقاد ؟!

للإجابة على هذا التساؤل جاء هذا البحث ، وانتهى إلى أن الآية لا تدل على ما ذهب إليه نفاة رؤية الله تعالى ، وأن للسلف تفسيراً للآية يتناسب مع سائر نصوص إثبات الرؤية ، بل تبين أن الآية أدل على الإثبـات منها على النفي ، وفي هذا دلالة أن القرآن الكريم لا يمكن أن يدل على باطل البتة ! وأن ما يستدل به المبتدعة على بدعهم هو إلى دلالته على نقيض بدعهم أوضح وأبين ، ولله الحمد .

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه ، وبعد:
فإن من المسائل الكبيرة المهمة والمجمع عليها في معتقد أهل السنة والجماعة **رؤية الله تبارك وتعالى في الدار الآخرة** .

وقد استند إجماعهم على إثباتها إلى أدلة كثيرة من الكتاب والسنة ، واعتبروا من نفاها منحرفاً عن سواء السبيل ، وعدوه مبتدعاً ، ونص كثير منهم على تكفير منكري الرؤية.

وقد استند المخالفون الذين نفوا الرؤية على شُبَهٍ عقلية ! مضمونها : أن الرؤية لا تكون إلا لما هو جسم ، والله منــزّه عن الجسمية ، وبناء على ذلك فإن رؤيته –سبحانه- مستحيلة على كل حال !

وقد حاولوا تدعيم استدلالهم العقلي على مذهبهم ببعض الأدلة السمعية ، وأطالوا في بيان وجه الدلالة منها ، ذلك أنهم يرون أن صحة السمع لا تتوقف على إثبات الرؤية ، وكل مسألة لا تتوقف عليها صحة السمع فالاستدلال عليها بالسمع ممكن - كما يقولون- !

وهذا البحث يسلط الضوء حول آية من كتاب الله كانت موضع اهتمام كبير من نفاة الرؤية للاستدلال بها على مذهبهم ، بل جعلوها في طليعة النصوص التي يستدلون بها على ما ذهبوا إليه ، وربما تكون أقوى دليل لهم ! وهي قوله تعالى : ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الأنعام ١٠٣]

ولمثبتي رؤية الله تفسير للآية يتناسب مع سائر أدلة الإثبات ، بل ذهب كثير منهم إلى الاستدلال بها على إثبات الرؤية لا على نفيها ، وفي هذا قلب للدليل على النفاة ، وللطرفين فيها بحوث ومناقشات ، وسبب الخلاف في تفسير الآية عائد - في نظري- إلى أمرين :

الأول : معنى الإدراك في اللغة وفي سياق الآية ، ما هو ؟

الثاني : الاتجاه المذهبي بين نفاة ومثبتين ، إذ يحاول كل طرف تبيان أن الآية دليل له لا عليه !

وسيكون البحث -بإذن الله- بعد هذه المقدمة في عدة مباحث ؛ **الأول** : مادة (درك) في اللغة ، **والثاني** : معنى الإدراك في كتاب الله ، **والثالث** : علاقة الرؤية بالإدراك ، **والرابع** : الأقوال في تفسير الآية ، مع الترجيح ، ثم **الخاتمة** وفيها نتيجة البحث وبعد ذلك **الفهارس.**

وقد سرت في هذا البحث وفق قواعد البحث العلمي المتعارف عليها من جمع المادة من مصادرها المعتمدة ، وتوثيقها حسب الأعراف العلمية ، مع الحرص على تقديمه بلغة علمية سهلة ميسرة ، والله الموفق .

د . صالح بن درباش بن موسى الزهراني

قسم العقيدة بجامعة أم القرى

المبحث الأول :

مادة (درك) في اللغة :

من أجل استجلاء المعنى اللغوي لمادة (درك) سأسوق بعض نصوص علماء اللغة مراعياً التسلسل التاريخي ، ثم أعقب بتحليل هذه النصوص.

قال **الخليل** (ت:١٧٥هـ) :(الدرك إدراك الحاجة والطِّلبة، تقول: بكِّرْ ففيه درَك ، والدرَك أسفل قعر الشيء ، والدرَك واحد من أدراك جهنم من السبع ، والدرْك لغةٌ في الدرك الذي هو من القعر ، والدرَك : اللحق من التبعة ، والدراك إتباع الشيء بعضه على بعض في كل شيء يطعنه طعناً دراكاً متداركاً ، أي : تباعاً واحداً إثر، واحد وكذلك في جري الفرس ، ولحاقه الوحش ، قال الله تعالى : ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا** ﴾ أي: تداركوا ، أدرك آخرهم أولهم فاجتمعوا فيها **...**) (١)

وقال **ابن دريد** (ت:٣٢١هـ) :(أدركت الرجل إدراكاً : إذا لحقته فهو مدرك ، والدرك : القطعة من الحبل تقرن بالأخرى ، والجمع أدراك ودركة ودروك ، والدرك أيضاً : قعر البئر ، وقعر كل شيء دركه ، **...** ورجل درك الطريدة إذا كان لا تفوته طريدة والفرس كذلك **.** وأدرك الشجر وغيره إذا آن أن يؤكل أو يشرب يدرك إدراكاً **...**) (٢)

وقال **الأزهري** (ت:٣٧٠هـ) :([قال]شمر : الدرك : أسفل كل شيء ذي عمق كالركية ونحوها **...** وقال الليث : الدرك : أقصى قعر الشيء كالبحر ونحوه ، والدرك واحد من أدراك جهنم السبع **...** ، وقال الليث : الدرك : إدراك الحاجة ومطلبه ، يقال : بكر ففيه درك ، قال: والدرك اللحق من التبعة ، **...**

وقول الله عز وجل : ﴿ **قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ** ﴾ **...** ومعنى الآية ما قاله السدي وذهب إليه أبو معاذ الضرير **...**أن علمهم في الآخرة تواطأ ، وحقّ حين حقت القيامة وحشروا وبان لهم صدق ما وعدوا به حين لا ينفعهم ذلك العلم **...**

وقول الله سبحانه :﴿ **لا تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَى** ﴾ أي لا تخاف أن يدركك فرعون ولا تخشاه ، ومن قرأ {لا تخف} فمعناه لا تخف أن يدركك ولا تخش الغرق ، والدرك اسم من الإدراك مثل اللحق) (٣)

وقال **الجوهري** (ت:٣٩٣هـ) :(الإدراك اللحوق ، يقال : مشيت حتى أدركته ، وعشت حتى أدركت زمانه وأدركته ببصري أي رأيته ، وأدرك الغلام وأدرك الثمر أي بلغ **...** واستدركت ما فات ، وتداركته بمعنىً ، وتدارك القوم : تلاحقوا أي لحق آخرهم أولهم ،ومنه قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا** ﴾ وأصله تداركوا فأدغمت التاء في الدال واجتلبت الألف ليسلم السكون **...**

والدرك التبعة يسكن ويحرك ، يقال : ما لحقك من درك فعليَّ خلاصُه ، ودركات النار منازل أهلها ، والنار دركات والجنة درجات ، والقعر الآخر درك ودرك) (٤)

وقال **ابن منظور** (ت:٧١١هـ) :(الدرك اللحاق وقد أدركه ، وتدارك القوم : تلاحقوا أي لحق آخرهم أولهم ، وفي التنـــزيل : ﴿ **حتى إذا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًـا** ﴾ وأصله تداركوا فأدغمت التاء في الدال واجتلبت الألف ليسلم السكون ، والدرك اللحق من التبعة ، ومنه ضمان الدرك في عهدة البيع ، والدرك اسم من الإدراك ، مثل اللحق ، وفي الحديث : «أعوذ بك من درك الشقاء»(٥)، الـــدرك اللحاق والوصول إلى الشيء أدركته إدراكاً ودركاً ، والدرك التبعة يُسكَّن ويُحرّك ، يقـــال : مـــا لحقك من درك فعليَّ خلاصُه ، والإدراك اللحوق ، يقال : مشيت حتى أدركته ، وعـــشت حـــتى أدركت زمانه ، وأدركته ببصري أي: رأيته ، وأدرك الغلام وأدرك الثمر أي: بلغ ، وربما قالوا: أدرك الدقيق بمعنى فَنِيَ ، واستدركت ما فات وتداركته بمعنىً ، ... والدراك لحاقُ الفرسِ الوحشَ وغيرها ، وفرس درك الطريدة ؛ يدركها ، كما قالوا : فرس قيد الأوابد ؛ أي أنه يقيدها ... والدراك اتباع الشيء بعضه على بعض في الأشياء كلها ... لهم ، وقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **لَّا تَخَـافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى** ﴾ أي : لا تخاف أن يدركك فرعون ولا تخشاه ، ومن قرأ ﴿ **لا تَخَـفْ** ﴾ فمعناه لا تخف أن يدركك ولا تخش الغرق ، والدرك أقصى قعر الشيء ... كالبحر و... أسفل كل شيء ذي عمـــق كالركية ... والدرك الأسفل في جهنم - نعوذ بالله منها - أقصى قعرها والجمع أدراك ، ودركات النار منازل أهلها ، والنار دركات والجنة درجات ، والقعر الآخر درك ، والدرك إلى أسفل والـــدرج إلى فوق...)(٦)

من خلال هذه النقول يتبين لنا أن مادة (درك) - في أصل معناها - يقصد بها :

١- اللحوق أو اللحاق ، وهو أصل معناها تقول : أدركت الرجل إذا لحقته ، وتدارك القوم أي تلاحقوا ...

٢- قعر الشيء ، كقعر البئر ، وقعر البحر وقعر جنهم - أجارنا الله منها -.

٣- بلوغ أقصى الشيء وغايته والوصول إليه ، ومنه : أدرك الغلام : إذا بلغ غاية الصبا ، وأدرك الشجر : إذا آن أن يؤكل ... ونحو ذلك .

٤- اتباع الشيء بعضه على بعض ، ومنه قوله سبحانه : ﴿ **بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِـرَةِ** ﴾ أي تتابع وتواطأ وتلاحق حيث استبان لهم ما وعدوا به .

إلا أن هذه المعاني عند التأمل ترجع إلى المعنى الأول (اللحوق) ولـــذا يقـــول **ابـــن فـــارس** (ت:٣٩٥هـ) في معجمه : (درك : الدال والراء والكاف أصل واحد ، **وهو لحوق الشيء بالشيء**

ووصوله إليه ، يقال : أدركت الشيء أدركه إدراكاً ، ويقال : فرس درك الطريدة : إذا كانت لا تفوته طريدة ، ويقال أدرك الغلام والجارية إذا بلغا ، وتدارك القوم : لحق آخرهم أولهم ...فأما قوله تعالى : ﴿ **بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ** ﴾ فهو من هذا ؛ لأن علمهم أدركهم في الآخرة حين لم ينفعهم . والدرك : القطعة من الحبل تشد في طرف الرشاء إلى عرقوة (٧) الدلو ؛ لئلا يأكل الماء الرشاء ، وهو وإن كان لهذا فيه تدرك الدلو . ومن ذلك الدرك وهي منازل أهل النار ، وذلك أن الجنة درجات والنار دركات ، قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ** ﴾ [سورة النساء:١٤٥]، وهي منازلهم التي يدركونها ويُلحقون بها ، نعوذ بالله منها) (٨)

ويرى الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ) أن (أصل الإدراك : بلوغ أقصى الشيء)(٩) ، ولا منافاة بينه وبين ما ذكره ابن فارس ؛ لأن بلوغ أقصى الشيء هو اللحوق به ، وإذا لحقه إلى أقصاه فقد أحاط به ، فالإدراك إذن (**إحاطة** الشيء بكماله) كما يقول الجرجاني في تعريفاته(١٠) .

ويقول أبو حيان: (ت:٧٤٥هـ) : (والإدراك يتضمن **الإحاطة** بالشيء **والوصول** إلى أعماقه **وحَوزِه** من جميع جهاته) (١١)

المبحث الثاني :

معنى الإدراك في كتاب الله :

وردت مادة (درك) في القرآن الكريم في اثني عشر موضعاً ، على النحو التالي[١٢]:

١ - ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ...﴾ [النساء: ٧٨] أي : (حيثما تكونوا يَنَلْكم الموت فتموتوا)[١٣]

٢ - ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللهِ... ﴾ [النساء: ١٠٠] أي : تلحق به منيته فتخترمه. [١٤]

٣ - ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ... ﴾ [النساء: ١٤٥] أي: (في الطَّبَق [=القعر]الأسفل من أطباق جهنم). [١٥]

٤، ٥ - ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وهي موضوع البحث وسيأتي الكلام عنها مفصلاً.

٦ - ﴿ حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا... ﴾ [الأعراف: ٣٨] أي: (حتى إذا تداركت الأمم في النار جميعًا، يعني اجتمعت فيها) [١٦]

٧ - ﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ... ﴾[يونس : ٩٠] أي : (أحاط به الغرق)[١٧]

٨ - ﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾ [طه: ٧٧] أي: (لا تخاف من فرعون وجنوده أن يدركوك [=يلحقوك] من ورائك)[١٨].

٩ - ﴿ فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [الشعراء: ٦١] (أي: إنا لملحقون، الآن يلحقنا فرعون وجنوده فيقتلوننا)[١٩]

١٠ - ﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ [النمل: ٦٦] (يعني تتابع علمهم في الآخرة، أي: بعلم الآخرة)[٢٠]

١١ - ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ.. ﴾[يس : ٤٠] أي : (لا الشمس يصلح لها إدراكُ [=لُحُوق]القمرِ ، فيذهب ضوؤها بضوئه، فتكون الأوقات كلها نهارًا لا ليل فيها). [٢١]

١٢ - ﴿ لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاء وَهُوَ مَذْمُومٌ... ﴾ [القلم: ٤٩] أي : (لولا أن تدارك [=لَحِق]صاحبَ الحوت نعمةٌ من ربه، فرحمه بها، وتاب عليه من مغاضبته ربه)[٢٢]

وبعد هذا نجد مجد الدين الفيروزأبادي يُرجع هذه المعاني إلى أربعة أوجه :

الأول : بمعنى الإلجاء والاضطرار : ﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ ﴾ أي ألجأه واضطره .

الثاني: بمعنى الإدراك واللحوق :﴿ **إِنَّا لَمُدْرَكُونَ** ﴾

الثالث : بمعنى الاجتماع :﴿ **بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ** ﴾ أي تدارك واجتمع بعضه على بعض .

الرابع : رؤية البصر :﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** ﴾ ومنهم من حمله على البصيرة ...

ثم يعقب بقوله : (وأصل الإدراك بلوغ أقصى الشيء)[٢٣]

قلت : وبلوغ أقصى الشيء هو لحوقه والإحاطة به ، فمتى بلغ أقصاه فقد لحقه وأحاط بـــه ، والله أعلم .

المبحث الثالث :

علاقة الرؤية بالإدراك :

تبين من خلال العرض السابق أن الإدراك في لغة العرب ليس مرادفاً للرؤية ، بل يحتمل عند الإطلاق معاني أُخَر، وهذا ما اعترف به القاضي عبد الجبار صراحة فقال : (الإدراك إذا أطلق يحتمل معاني كثيرة).(٢٤)

ويقول ابن حزم (ت:٤٥٦هـ) : (الإدراك عندنا معنى زائد على النظر والرؤية ، فالإدراك منتف عن الله تعالى على كل حال في الدنيا والآخرة ؛ لأن في الإدراك معنىً من **الإحاطة** ليس في الرؤية) .(٢٥)

إذاً فالإدراك قد يكون بالبصر أو بالسمع أو باللمس ، أو بغير ذلك من وسائل الإدراك ، **فالرؤية وسيلة للإدراك وليست مرادفة له** ، ولا يعني عدم ترادفهما انتفاء العلاقة بينهما ، بل بينهما عموم وخصوص من وجه ، أو اشتراك لفظي ، فكل منهما يوجد مع الآخر وبدونه ، فقد تقع رؤية بلا إدراك ، وقد يقع إدراك بلا رؤية ، فإن الإدراك يستعمل في إدراك العلم وإدراك القدرة، فقد يدرك الشيء بالقدرة وإن لم يشاهده ، كالأعمى الذي طلب رجلاً هارباً منه فأدركه و لم يره ، وقد قال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾ [سورة الشعراء ٦١ -٦٢] فنفى موسى الإدراك مع إثبات الترائي ، فعلم أنه قد يكون رؤية بلا إدراك ، والإدراك هنا هو إدراك القدرة ، أي : ملحقون محاط بنا ، وإذا انتفى هذا الإدراك فقد تنتفي إحاطة البصر أيضاً.

ويقال لمن جعل الإدراك هو الرؤية : الإدراك إما أن يراد به مطلق الرؤية ، أو الرؤية المقيدة بالإحاطة ، والأول باطل ؛ لأنه ليس كل من رأى شيئاً يقال : إنه أدركه ، كما لا يقال : أحاط به ، كما سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ذلك فقال : ألست ترى السماء ؟ قال : بلى ! قال : أكلها ترى ؟ قال : لا !(٢٦)

ومن رأى جوانب الجيش أو الجبل أو البستان أو المدينة لا يقال : إنه أدركها ، وإنما يقال : أدركها إذا أحاط بها رؤيةً ، فإذاً الإدراك في لغة العرب ليس مرادفاً للرؤية ، وليس كل من رأى شيئاً يقال له في لغتهم : إنه أدركه ! فهذا مما لا سبيل إليه.(٢٧)

المبحث الرابع :

الأقوال في تفسير الآية

أجمعت الأمة على أن قوله تعالى : ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ** ﴾ مسوقة للتمدح لا خلاف في ذلك ، وإنما وقع الخلاف بينهم في جهة التمدح ما هي ؟ [٢٨]

فتعددت الأقوال في معنى الآية ، ولكنها عند التأمل تنطوي تحت مذهبين ؛ مذهب نفاة الرؤية ، ومذهب مثبتي الرؤية ، وبيانها في المطالب التالية .

المطلب الأول : مذهب نفاة الرؤية

ذهب نفاة الرؤية إلى أن معنى الإدراك في الآية هو الرؤية لا غير ، وأن الله قد تمدح في الآية بأنه لا يُرى ، ويمثل هذا المذهب المعتزلة ومتأخرو الرافضة ، والزيدية والخوارج .

فقد ذهب هؤلاء - بناء على تفسيرهم الإدراك بالرؤية - إلى الاستدلال بهذه الآية على نفي رؤية الله في الدنيا والآخرة [٢٩] ويجعلون هذه الآية في صدارة الأدلة الشرعية التي يستدلون بها على نفي رؤية الله.[٣٠]

يقول القاضي عبد الجبار :(ومما يدل على أنه سبحانه لا يُرى بالأبصار قوله عز وجل : ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ فنفى أن يُدرك بالأبصار ، وقد علمنا أن الإدراك إذا قرن بالبصر أفاد ما تفيده رؤية البصر ... ومتى قرن به زال الاحتمال عنه فيختص بفائدة واحدة هي الرؤية بالبصر ، فإذا صح ذلك فيجب أن يكون قوله تعالى: ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** ﴾ في باب الدلالة على أنه لا يُرى بمنـزلة قوله - لو قال -: لا تراه الأبصار) [٣١]

ويقول : (ووجه الدلالة من الآية هو ما قد ثبت من أن الإدراك إذا قرن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية ، وثبت أنه تعالى نفى عن نفسه إدراك البصر ، ونجد في ذلك تمدحاً راجعاً إلى ذاته ، وما كان من نفيه تمدحاً راجعاً إلى ذاته كان إثباته نقصاً ، والنقائص غير جائزة على الله تعالى في حال من الأحوال) [٣٢]

من خلال هذين النصين نرى أن استدلال نفاة الرؤية بالآية يقوم على أمرين :

الأول: أن الإدراك المقرون بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية ، وقد نُفي هذا الإدراك ، والنفي عام في جميع الحالات .

الثاني : أن الله تمدح بكونه لا يُرى - حسب فهمهم - وما كان عدمه مدحاً كان وجوده نقصاً يجب تنـزيه الله عنه .

وربما استدلوا على عموم النفي في الآية بما رُوي عن مسروق[٣٣] أنه قال : قلت لعائشة : يا أم المؤمنين هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : سبحان الله ! لقد قفَّ شعري مما قلتَ ، أين أنت من ثلاث ؟! من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ ... الحديث[٣٤] ،فقد ظن نفاة الرؤية أن عائشة تنكر الرؤية ، معتمدين على استدلالها بهذه الآية. [٣٥]

والجواب عن استدلالهم بالآية سيتضح من خلال عرض آراء مثبتي الرؤية .

المطلب الثاني : مذهب مثبتي الرؤية

أما مثبتو الرؤية [٣٦] فلهم في تفسير الآية قولان :

القول الأول - أن الإدراك في هذا الموضع بمعنى الرؤية ، والمعنى : (لا تراه الأبصار) ، بيد أن هذا لا يعني نفي رؤية الله عندهم ؛ لأنها قد ثبتت بنصوص أخرى غير هذه الآية ، وعليه تكون هذه الآية من العام المخصوص[٣٧]، وقد فُسِّرت الآية على هذا القول بما يلي :

١ - لا تراه أبصار الخلائق في الدنيا وأما في الآخرة فإنها تدركه (أي تراه)[٣٨] ، وقد وردت النصوص بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة ، فيكون نفي الرؤية في الدنيا فقط، وممن ذهب إلى هذا القول أبو هريرة وابن مسعود وعائشة -رضي الله عنهم-[٣٩] وهو الذي يُفهم من استدلال عائشة بالآية ؛ لأن مسروقاً سألها عن رؤية النبي - r - ربه ليلة الإسراء ، فأجابته بأنه لم يره ، ثم عقبت بالآية لتدلل على أن الأبصار لا تراه في الدنيا ، وحينئذٍ لا يصح تعميم استدلالها بالآية على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة كما ذهب إليه النفاة ، وبالتالي يسقط استدلالهم بقولها .

وأما ابن مسعود وأبو هريرة فلم أجد لهما نصاً صريحاً في تفسير هذه الآية ، ولعل من نسب لهما هذا التفسير استنبط ذلك مما ثبت عنهما من نفي رؤية النبي - r - لربه ليلة المعراج ، والله أعلم[٤٠]

وهذا الجواب - أعني كون نفي الرؤية في الآية خاصاً بالدنيا - هو من أجوبة الإمام أحمد في **الرد على الجهمية** [٤١] ، وإليه ذهب كل من الحسن البصري [٤٢] وإسماعيل بن عُليَّه وهشام بن عبيد الله الرازي ونُعيم بن حماد [٤٣] ، وعثمان الدارمي [٤٤] وابن قتيبة [٤٥]، وإليه مال الأشعري لكنه لم يجزم به بل جعله احتمالاً ، كما تحتمل الآية عنده أن المراد لا تدركه أبصار الكافرين ، كما في القول الثاني الآتي [٤٦] .

قال ابن قتيبة : (فلما قال الله عز وجل : ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** ﴾ وجاء عن رسول الله «**ترون الله يوم القيامة**»[٤٧] لم يخفَ على ذي نظر أنه في وقت دون وقت) [٤٨] ، ويقول الإمام القرطبي في هذا القول : (وهو أحسن ما قيل ؛ لدلالة التنزيل والأخبار الواردة برؤية الله في الجنة)[٤٩]

ومما يقوي هذا القول قوله - r - : « تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يمـــوت»[٥٠] إذ نفى رؤية الله في الدنيا وأثبتها في الآخرة .

٢ - وقيل معنى الآية : لا تراه أبصار الكافرين ، أما المؤمنون فيرونه وذلك لأمور :

أولها- أن الألف واللام في لفظ ﴿ **الْأَبْصَارُ** ﴾ تفيد الاستغراق ، فيكون المنفي في الآية رؤيـــة جميع الأبصار ، مما يعني أن بعض الأبصار تراه ، وهو المطلوب [٥١]

ثانيها- ولدلالة النصوص الأخرى المثبتة وقوع الرؤية للمؤمنين ، فيبقى عموم الآية في الكافرين. يقول الأشعري : (كتاب الله يصدق بعضه بعضاً ، فلما قال في آية : إن الوجوه تنظر إليه يوم القيامة ، وقال في آية أخرى : إن الأبصار لا تدركه ؛ علمنا أنه إنما أراد أبصار الكافرين لا تدركه).[٥٢]

ثالثها- وأيضاً لمفهوم المخالفة وهو المعروف بدليل الخطاب[٥٣] ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾[المطففين آية:١٥] فمفهومه أن المؤمنين غير محجوبين عن رؤية الله تعالى .

وقد استدل كثير من السلف بهذه الآية على إثبات رؤية الله تعالى كالحسن البصري ، ومحمـــد بن كعب القرظي ، وإبراهيم الصايغ ، ومالك بن أنس ، والماجشون ، والشافعي ووكيع [٥٤] ، كما استدل بها ابن المبارك[٥٥] ، والإمام أحمد[٥٦] ، والدارمي[٥٧]، واستدل بهـــا الأشـــعري أيـــضاً[٥٨] والكرجي القصاب.[٥٩]

واشتهر الاستدلال بـــها عن الشافعي -رحمه الله تعالى- حيث قـــال : (فلمـــا حجبـــهم في السخط كان في هذا دليل على أنهم يرونه في الرضى) [٦٠].

٣ - وقيل : المعنى لا تراه الأبصار المعهودة في الدنيا وإنما يراه المبصرون ، وذلك بناءً علـــى أن الألف واللام في لفظ (الأبصار) للعهد ، ويراه المبصرون :

أ- إما بأبصار غير هذه الأبصار ؛ لأن هذه الأبصار (خلقت للفناء ولا تحتمل نور البقاء ، فإذا كان يوم القيامة ركبت الأبصار للبقاء ، فاحتملت النظر إلى نور البقاء)[٦١] ، **وينـــسب هذا الرأي إلى الأشعري**[٦٢]. وتعليل عدم إمكان رؤية الله بأبصار الدنيا صحيح ، يقـــول ابن تيمية : (ولكن لم نره في الدنيا لعجزنا عن ذلك ، وضعفنا كما لا نستطيع التحديق في شعاع الشمس ، بل كما لا تطيق الخفاش أن تراها ؛ لا لامتناع رؤيتها بـــل لـــضعف بصره وعجزه) [٦٣] ، لكن لا يعني ذلك أن الرؤية في الآخرة تكون بأبصار أخرى غـــير هذه ، بل بـــهذه الأبصار بعد تقويتها وتمكينها من ذلك ، وهو ما يفهـــم مـــن كـــلام الدارمي .

ب- وإما بحاسة سادسة يخلقها الله لهم يوم القيامة ، وأن الأبصار لا تراه في الدنيا ولا في الآخرة

، وقد نفى الله عن الأبصار أن تدركه ، وأخبر أن وجوهاً إليه يوم القيامة ناظرة ، وأخبار الله لا تتعارض ... فوجب أن يرى بغير حاسة البصر [٦٤] ، وينسب هذا الرأي لضرار بن عمرو[٦٥] ، وحفص الفرد [٦٦].

٤ - وقيل المعنى : لا تراه العقول ، ففسر الأبصار بالعقول ، وينسب هذا الرأي لأبي حصين؛ يحيى بن الحصين القارئ (قارئ أهل مكة)[٦٧]

القول الثاني - إن الإدراك في الآية معناه الإحاطة ، وعلى هذا فمورد الآية في غير محل النزاع ، لأن النزاع وقع في الرؤية ، والآية وردت بنفي الإدراك لا بنفي الرؤية ، ويقول هؤلاء : إن الإدراك منتفٍ عن الله ولا كلام فيه ، فنحن قائلون بموجب الآية ، لأن الإدراك هو الإحاطة واللحوق وهما منتفيان عن الله بالإجماع ، فأما الرؤية فثابتة لله تعالى بنصوص أخرى غير هذه الآية ، فلا تعارض بين هذه الآية وبين الأدلة المثبتة للرؤية لكي نحتاج إلى التوفيق بينهما بالتخصيص والتعميم والإطلاق والتقييد ، بل هذه وردت بنفي غير ما وردت تلك بإثباته [٦٨]، فلا منافاة بين نفي الإدراك وبين إثبات الرؤية ، فإن الإدراك أخص من الرؤية ولا يلزم من نفي الأخص نفي الأعم .

وعليه فإن معنى الآية : لا تحيط به الأبصار ولا تبلغ كُنْهَ حقيقته ، وهذا لا يعلمه إلا الله وإن رآه المؤمنون .[٦٩]

وقد ذهب إلى هذا القول ابن عباس وقتادة وعطية العوفي ورجحه ابن جرير[٧٠] ، وقال به ابن المسيب وعطاء والزجاج[٧١] ، وإليه ذهب القلانسي وابن فورك ، واختاره أبو منصور الماتريدي وإمام الحرمين الجويني وأبو المعين النسفي[٧٢] ، بل ذكر ابن تيمية أن هذا هو قول أكثر العلماء من السلف وغيرهم.[٧٣]

يقول الحبر ابن عباس : ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ** ﴾ يقول : (لا يحيط بصر أحد بالملك)[٧٤] ، ويروى أيضاً عن قتادة نحوه[٧٥].

وقال عطية العوفي في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ [سورة القيامة:٢٢، ٢٣] قال : هم ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته ، وبصره يحيط بهم فذلك قوله: ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** ﴾[٧٦] .

ولما قال ابن عباس : إن النبي - ﷺ - رأى ربه ، قال رجل عند ذلك : أليس قال الله : ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** ﴾ ؟ فقال له عكرمة : ألست ترى السماء ؟ قال : بلى ، قال : فكلَّها ترى[٧٧] ؟!

وجاء في حديث مرفوع عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله - r - في قوله تعالى: ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** ﴾ قال : « لو أن الجن والإنس والشياطين والملائكة منذ خلقوا إلى أن فنوا صـــفوا صـــفاً واحداً ما أحاطوا بالله أبداً »(٧٨)

ومما يستدل به لهذا القول قوله تعالى : ﴿ **حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ** ﴾ [سـورة يـونس :٩٠]حيث وصف الله الغرق بأنه أدرك فرعون ولاشك أن الغرق غير موصوف بأنه رآه ولا هو ممـــا يجوز وصفه بأنه يَرى شيئاً فالشيء قد يدرك الشيء ولا يراه(٧٩) .

وأيضاً قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا** ﴾ [سورة الشعراء :٦١] فلم ينف موسى -عليه السلام- الرؤية وإنما نفى الإدراك فالرؤية والإدراك كل منـــهما يوجد مع الآخر وبدونه فالرب تعالى يُرى ولا يدرك ، بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه ، وكذا القمر يُرى ولا تدرك حقيقته وكنهه وماهيته، فالعظيم -سبحانه- أولى بذلك وله المثل الأعلى ، فنفي الإدراك لا يلزم منه نفي الرؤية .

ونظير جواز وصفه بأنه يُرى ولا يدرك ، جواز وصفه بأنه يُعلم ولا يحاط بعلمه كما قال تعالى : ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ﴾.(٨٠)

وقد أوضح بعض أهل العلم أن هذه الآية دليل على إثبات الرؤية لا على نفيها، يقول الأشعري في معرض مجادلته للمنكرين : (قيل لهم : فما أنكرتم أن يكون لا تدركه بأبصار العيون لا يوجب إذا لم ندركه بها أن لا نراه ؟ فرؤيتنا له بالعيون وإبصارنا له بها ليس بإدراك له بها ، كما أن إبصارنا لـــه بالقلوب ورؤيتنا له بها ليس بإدراك له بها .

فإن قالوا : رؤية البصر هي إدراك البصر .

قيل لهم : ما الفرق بينكم وبين من قال : إن رؤية القلب وإبصاره هو إدراكه وإحاطته ؟ فإذا كان علم القلب بالله عز وجل وإبصار القلب له رؤيته إياه ليس بإحاطة ولا إدراك فما أنكـــرتم أن يكون رؤية العيون وإبصارها لله عز وجل ليس بإحاطة ولا إدراك ؟) (٨١)

وقال الآجري: (فإن قال قائل : فما تأويل قوله عز وجل : ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** ﴾ ؟ قيل له: معناها عند أهل العلم ؛ أي لا تحيط به الأبصار ، ولا تحويه عز وجل ، وهم يرونه من غـــير إدراك ، ولا يشكون في رؤيته كما يقول الرجل : رأيت السماء ، وهو صادق ، و لم يحط بصره بكل السماء و لم يدركها ، وكما يقول الرجل : رأيت البحر ، وهو صادق ، و لم يدرك بصره كل البحـــر ، و لم يحط ببصره هكذا فسره العلماء إن كنت تعقل) (٨٢)

وزيادة في البيان يمكن القول : إن الآية جاءت في مقام التمدح ، فقد تمدح –سبحانه- بنفـــي الإدراك لذاته، ومن المعلوم أن المدح لا يكون إلا بالصفات الثبوتية ، وأما العدم المحض فليس بكمال

، فلا يمدح به ، وإنما يمدح الرب بالنفي إذا تضمن أمراً وجودياً ، كمدحه بنفي السِّنة والنوم عنه المتضمن كمال القيومية ، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة ، ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة ...

ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتياً ؛ فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم ، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه ، فإذن المعنى : أنه يُرى ولا يدرك ولا يحاط به فقوله : ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ** ﴾ يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء ؛ فإنه لكمال عظمته لا يُدرك بحيث يحاط به ، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء ، وهو قدر زائد عن الرؤية ، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه ، فالرب تعالى يُرى ولا يُدرك كما يُعلم ولا يحاط به علماً ، وهذا الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية ، كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية ، بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه(٨٣) .

يقول ابن تيمية : (الإدراك إما أن يراد به مطلق الرؤية أو الرؤية المقيدة بالإحاطة والأول باطل لأنه ليس كل من رأى شيئاً يقال : إنه أدركه ، كما لا يقال : أحاط به ، كما سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ذلك فقال : ألست ترى السماء قال : بلى ! قال : أكلها ترى ؟ قال : لا . ومن رأى جوانب الجيش أو الجبل أو البستان أو المدينة لا يقال : إنه أدركها، وإنما يقال : أدركها إذا أحاط بها رؤيةً ، ونحن في هذا المقام ليس علينا بيان ذلك وإنما ذكرنا هذا بياناً لسند المنع ، بل المستدل بالآية [على نفي الرؤية](٨٤) عليه أن يبين أن الإدراك في لغة العرب مرادف للرؤية، وأن كل من رأى شيئاً يقال في لغتهم : إنه أدركه ، وهذا لا سبيل إليه ، كيف وبين لفظ الرؤية ولفظ الإدراك عموم وخصوص ، أو اشتراك لفظي ! فقد تقع رؤية بلا إدراك وقد يقع إدراك بلا رؤية ، فإن الإدراك يستعمل في إدراك العلم وإدراك القدرة ، فقد يُدرك الشيء بالقدرة وإن لم يشاهَد ، كالأعمى الذي طلب رجلاً هارباً منه فأدركه و لم يره ، وقد قال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾ [سورة الشعراء ٦١- ٦٢] فنفى موسى الإدراك مع إثبات الترائي ، فعلم أنه قد يكون رؤية بلا إدراك ، والإدراك هنا هو إدراك القدرة أي ملحقون محاط بنا ، وإذا انتفى هذا الإدراك فقد تنتفي إحاطة البصر أيضاً.

ومما يبين ذلك أن الله تعالى ذكر هذه الآية يمدح بها نفسه -سبحانه وتعالى- ومعلوم أن كون الشيء لا يُرى ليس صفة مدح ؛ لأن النفي المحض لا يكون مدحاً إن لم يتضمن أمراً ثبوتياً ، ولأن المعدوم أيضاً لا يُرى ، والمعدوم لا يُمدح ، فعُلم أن مجرد نفي الرؤية لا مدح فيه .

وهذا أصل مستمر ، وهو أن العدم المحض الذي لا يتضمن ثبوتاً لا مدح فيه ولا كمال فلا يمدح الرب نفسه به ، بل ولا يوصف (٨٥) نفسه به ، وإنما يصفها بالنفي المتضمن معنى ثبوتياً كقوله : ﴿ **لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ** ﴾ وقوله : ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ** ﴾ وقوله : ﴿ **وَلاَ يُحِيطُونَ**

بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء ﴾ وقوله : ﴿ **وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾ [سورة البقرة :٢٥٥])[٨٦]

ثم يقول :(وإذا كان المنفي هو الإدراك فهو سبحانه وتعالى لا يحاط به رؤيةً ، كما لا يحاط به علماً ، ولا يلزم من نفي إحاطة العلم والرؤية نفي العلم والرؤية ، بل يكون ذلك دليلاً على أنه يُرى ولا يحاط به، كما يُعلم ولا يحاط به ، فإن تخصيص الإحاطة بالنفي يقتضي أن مدرك الرؤيـــة لـــيس بمنفي ، وهذا الجواب قول أكثر العلماء من السلف وغيرهم ، وقد روي معناه عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره)[٨٧]

المطلب الثالث : الترجيح

من خلال العرض السابق ، يتبين لنا أن أولى الأقوال بالقبول في تفسير الآية قول مـــن فـــسر الإدراك بالإحاطة ، ثـــم يليه قول من يرى أن المعنى : لا تراه الأبصار في الـــدنيا ، إلا أن تفـــسيره بالإحاطة أرجح وأولى لما يلي :

١- أنه وارد عن جمعٍ من السلف، وعلى رأسهم الصحابي ابن عباس ، (وتفسير الصحابي أولى أن يعتمد عليه من غيره لأنه أعلم بالمراد)(٨٨) ، وفي ثبوت هذا التفسير عن السلف رد على مـــن زعم أنه لم يرد عنهم تفسير الإدراك بالإحاطة.(٨٩)

٢- كما أن اللغة تدل عليه ، إذ من معاني الإدراك في اللغة الوصول إلى غاية الشيء وإذا وصل إلى غاية الشيء فقد أحاط به ، وهذا المعنى ليس ببعيد من معنى اللحوق فمن وصـــل إلى غايـــة الشيء فقد لحق تلك الغاية وأدركها وأحاط بها .

٣- كما أن الأوجه الأخرى التي ذكرت في تفسير الآية لا تخلو من بطلان أو ضعف ، أو كونهـــا مرجوحة ، فما ذهب إليه نفاة الرؤية من الاستدلال بالآية على نفي الرؤية باطل ؛ لأن الرؤية قد ثبتت بالنصوص الصحيحة الصريحة ، ولا تعارض بينها وبين هذه الآية بحمد الله .

كما أن الأوجه الأخرى التي ذكرها المثبتون الذين يرون أن الإدراك في هذا الموضع بمعنى الرؤية أوجه ضعيفة أو مرجوحة ، فالآية لا تحتاج : (إلى تخصيص ولا خروج عن ظاهر الآية ، فلا نحتاج أن نقول لا نراه في الدنيا، أو نقول لا تدركه الأبصار بل المبصرون ، أو لا تدركه كلها بل بعضها ، ونحو ذلك من الأقوال التي فيها تكلف.

ثم نحن في هذا المقام يكفينا أن نقول الآية تحتمل ذلك فلا يكون فيها دلالة على نفي الرؤية ، وإذا أردنا أن نثبت دلالة الآية على الرؤية مع نفيها للإدراك الذي هو الإحاطة أقمنا الدلالـــة على أن الإدراك في اللغة ليس هو مرادفاً للرؤية ، بل هو أخص منها ، وأثبتنا ذلـــك باللغـــة وأقوال المفسرين من السلف وبأدلة أخرى سمعية وعقلية) (٩٠)

٤- أن الله تمدح في الآية بأنه لا يدرك ، ولا يمكن أن يتمدح الله بالنفي المحض الذي لا ثبوت فيه ، فالله قد تمدح في الآية بنفي الإدراك مع كونه يُرى ، وإلا فالمعدومات لا تُرى والعلوم لا تُرى وأيُّ مدح لها في ذلك ؟؟ وقد سبق بيان هذا الأصل .

وبهذا يتضح لنا أن الآية مع من يثبت الرؤية لا مع من ينفيها ، وأنها على إثبات الرؤية أدل منها على نفيها . والله أعلم

الخاتمة

وفيها نتيجة البحث

بعد الانتهاء – بحمد الله – من هذا البحث يمكننا القول : إن سبب الخلاف في الاستدلال بآية ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْـصَارُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] يعود إلى معنى الإدراك في اللغة ، وفي السياق القرآني ، فمن رأى أن الإدراك في الآية بمعنى الرؤية ؛ فالآية - عنده - تدل على أن الأبصار لا تراه ، وقد أخذ نفاة الرؤية بعمومها، أما مثبتو الرؤية القائلون بأن الإدراك في الآية بمعنى الرؤية؛ فقد خصوا عمومها ببعض الأبصار أو ببعض المبصرين أو في الدنيا .. وذلك استناداً إلى أدلة أخرى دلت على التخصيص .

ومن رأى أن الإدراك في الآية ليس هو الرؤية بل هو أعم منها – إذ الإدراك عنده بمعنى الإحاطة - فالآية نفت الإحاطة و لم تنف الرؤية ، فهي حينئذٍ في غير محل النــزاع .

وبعض هؤلاء رأى أن الآية تدل على إثبات الرؤية لا على نفيها ، وذلك أنها نفت الإحاطــة ، و لم تنف الرؤية ، وقد وردت نصوص كثيرة -غير هذه الآية- بإثباتها ، فالأبصار تراه ولكن لا تحيط به ، وهذا القول هو الصواب.

وبناء على ذلك فإن آيات القرآن الكريم إذا أعطيت حقها من النظر والتدبر؛ فإنها لا تــدل إلا على الحق الذي كان عليه سلف الأمة ، وأن كل من استدل بآية على بدعته فإن تلك الآية تدل على نقيض ما استدل به ، كما هو الحال في هذه الآية التي عليها مدار البحث ، إذ عمد نفاة الرؤية على الاستدلال بها على نفي رؤية الله الثابتة بنصوص قطعية كثيرة ، وعند التأمل وجدنا الآية الكريمة أدل على إثبات الرؤية منها على نفيها ، والقرآن كله يصدق بعضه بعضاً ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَـشَابِهًا ﴾ [سورة الزمر: ٢٣] وهكذا سائر ما يستدل به المبتدعة على بدعهم من حجج - وبالأخص السمعية منها كنصوص القرآن الكريم- فإنها عند التأمل تدل على نقــيض اســتدلالهم بهــا علــى باطلهم.[٩١]

رزقنا الله التدبر لكتابه والفقه في دينه ، إنه سميع مجيب .والحمد لله رب العالمين .

---

(١) العين (٥/٣٢٧-٣٢٨)

(٢) جمهرة اللغة (مادة : درك) (٢/٣٣٦-٣٣٧)

(٣) تهذيب اللغة (مادة: درك) (١٠/١١٠-١١٤)

(٤) الصحاح (مادة: درك) (ص١٥٨٢-١٥٨٣)

(٥) روى البخاري بسنده (ح/٥٩٨٧ ط: البغا) عن أبي هريرة قال : {كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء} ورواه مسلم (ح/٧٠٥٢ ط: دار الجيل).

(٦) لسان العرب (مادة: درك) (٤/٣٣٤-٣٣٦)

(٧) العَرقوة الخشبة المعترضة في فوهة الدلو ، وللدلو عَرقوتان كالصليب بحيث يربط فيهما الرشاء (=الحبل) انظــر المعجم الوسيط (٢/٥٩٦) ، وانظر: القاموس المحيط مادة : عرق (ص: ١١٧٢)

(٨) مقاييس اللغة (مادة: درك) (٢/٢٦٩)

(٩) بصائر ذوي التمييز (٢/١٣٠)

(١٠) التعريفات (ص:٢٩ رقم٦٢)

(١١) البحر المحيط عند تفسير هذه الآية

(١٢) مرتبة حسب ترتيب السور في المصحف ، وسيكون الاعتماد في بيان معناها على تفسير شــيخ المفــسرين : الإمام الطبري ؛ لمكانة تفسيره عند أهل السنة .

(١٣) تفسير الطبري (٨/٥٥١ ط: شاكر)

(١٤) انظر: تفسير الطبري (٩/١١٣)

(١٥) تفسير الطبري (٩/٣٣٧)

(١٦) تفسير الطبري (١٢/٤١٦)

(١٧) تفسير الطبري (١٥/١٨٩)

(١٨) تفسير الطبري (١٨/٣٤٣)

(١٩) تفسير الطبري (١٩/٣٥٥)

(٢٠) تفسير الطبري (١٩/٤٩٠).

(٢١) تفسير الطبري (٢٠/٥١٩)

(٢٢) تفسير الطبري (٢٣/٥٦٣)

(٢٣) انظر: بصائر ذوي التمييز (٢/١٣٠، ٥٩٤-٥٩٦)

(٢٤) انظر: شرح الأصول الخمسة (٢٣٤)

(٢٥) الفصل لابن حزم (٣/٨)

(٢٦) سيأتي تخريجه

(٢٧) انظر : دقائق التفسير لابن تيمية (٢/١٢٦ بتصرف)

(٢٨) انظر : شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار (٢٣٦) وتبصرة الأدلة لأبي المعين النسفي (٣٨٧)

(٢٩) انظر: المغني لعبد الجبار المعتزلي (٤/١٤٤)، وشرح الأصول الخمسة له (٢٣٣) ، والكــشاف للزمخــشري المعتزلي (٢/١٤٦) والأساس لعقائد الأكياس للقاسم بن محمد الزيدي (٧٩) ، ومشارق أنوار العقول للسالمي الإباضي (١/٣٨٧) ، والاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد للطوسي الرافضي (٧٥) والحق الدامغ للخليلي الإباضي (٦٨)

(٣٠) انظر: المراجع نفسها في الحاشية السابقة بالصفحات نفسها ، فقد جعلوا هذه الآية في مقدمة الأدلة السمعية . لكن ينبغي أن يعلم أن نفاة الرؤية لم ينفوها استناداً إلى هذه الآية أو غيرها من الآيات ، وإنما نفوها بناء علــى شبهة عقلية ، **خلاصتها** : أن الرؤية لا تكون إلا لما هو جسم ، والله منــزه عن الجسمية ، يقول عبد الجبــار في المغني (٤/١٤٠) : (الكلام في الرؤية فرع عن الكلام في التجسيم) ، ويقول في شرح الأصــول (٢٣٢-

٢٣٣) : (إن الله تعالى لو كان جسماً لصح أن يُرى) ، ولهم في تقرير هذه الشبهة كلام طويل [انظر: المغني ٤/٣٣-١٤٤ ، ومشارق الأنوار للسالمي ١/٣٨٠-٣٨٦ والحق الدامغ للخليلي -مفتي عمان- بحث الرؤية] ، ثم بعد ذلك أخذوا يبحثون عما يؤيد شبهتهم من نصوص شرعية ، فكانت هذه الآية في صدارة ما يوردونه من نصوص على نفي الرؤية ! وذكر الألوسي في تفسيره (٣/٢٤٥) عن شيخ مشايخه الكوراني أن هذه الآية تعتبر أقوى دليل لهم على نفي الرؤية !

(٣١) المغني لعبد الجبار (٤/١٤٤-١٤٥) ، وانظر : متشابه القرآن له (٢٥٥)

(٣٢) شرح الأصول لعبد الجبار (٢٣٣)

(٣٣) هو أبو عائشة ؛ مسروق بن الأجدع الهمداني الكوفي، أحد الأعلام ، وهو ابن أخت البطل عمرو بن معدى كرب ، أخذ عن عمر وعلي ومعاذ وابن مسعود وعائشة ، وعنه إبراهيم والشعبي وأبو إسحاق وغيرهم (ت:٦٣هـ) انظر تذكرة الحفاظ للذهبي (١/٤١) وتقريب التهذيب (٥١٩ ت: عوامة)

(٣٤) رواه البخاري (ح/٤٨٥٥، ح/٧٣٨٠) ، ومسلم (ح/١٧٧) .

(٣٥) انظر: الحق الدامغ لمفتي عمان (٧٢) . وتفسير الرازي (١٣/١٠٤)

(٣٦) مثبتو الرؤية هم السلف باتفاق ، قال ابن تيمية في منهاج السنة (٢/٣١٦) : (ذكر الإمام أحمد وغيره من الأئمة العالمين بأقوال السلف أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان متفقون على أن الله يُرى في الآخرة بالأبصار، ومتفقون على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه، و لم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة ، منهم من نفى رؤيته بالعين في الدنيا ، ومنهم من أثبتها ... **والمقصود هنا نقل إجماع السلف على إثبات الرؤية)** .

وممن يُثبت الرؤية في الجملة الكلابية بفرعيها (الأشعري والماتريدي) . لكن متأخريهم - مع إثباقم لها- يفسرونها بما يؤول إلى النفي فيصبح النزاع بينهم وبين النفاة لفظياً ، يقول ابن تيمية : (صار الحذاق من متأخري الأشعرية على نفي الرؤية ، وموافقة المعتزلة ، وإذا أطلقوها موافقةً لأهلِ السنة فسّروها بما تُفسِّرُها به المعتزلةُ ، وقالوا : النزاع بيننا وبين المعتزلة لفظي) درء التعارض (١/٢٥٠)

(٣٧) راجع العذب النمير للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (١/٥٤)

(٣٨) ذكر هذا القول ابن جرير في تفسيره (١٢/١٨-١٩) دون أن ينسبه لأحد ، وعنه الماوردي في تفسيره (٢/١٥١- ١٥٢)، وكون الأبصار لا تراه في الدنيا محل اتفاق بين الأمة ، وإنما وقع خلاف في رؤية النبي لربه ليلة المعراج . انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/٣٨٩) وشرح الطحاوية (٢٢٢ ت:التركي)

(٣٩) انظر: الشفاء للقاضي عياض اليحصبي (١/١٩٥-١٩٦) وعنه في شرح الطحاوية (٢٢٣ ت:التركي) وانظر : تفسير القرطبي (٧/٥٥)

(٤٠) أثر ابن مسعود رواه البخاري برقم (٣٢٣٢، ٤٨٥٦، ٤٨٥٧) ومسلم برقم (٤٣١) وأما أثر أبي هريرة فقد رواه مسلم برقم (٤٣٤)

(٤١) انظر : الرد على الجهمية (٥٩ ، ضمن عقائد السلف)

(٤٢) انظر : تفسيره (١/٣٦١) والدر المنثور (٣/٦٩)

(٤٣) انظر : شرح أصول أهل السنة للالكائي (٢/٥٠٨، ٥٢٢) ، كما أخرج أثر إسماعيل بن عليه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر المنثور للسيوطي (٣/٦٩)

(٤٤) انظر: الرد على المريسي للدارمي (٤١٥-٤١٦ و٥٢٣، ضمن عقائد السلف) و(٣٦٥، ٧٣٨، ت: الألمعي) .

(٤٥) انظر: الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية (٤٥ ت: عمر محمود) .

(٤٦) انظر: الإبانة (٦٣) ؛ وانظر: اللمع (٦٥)

(٤٧) هذا معنى مجموع الأحاديث التي جاءت بإثبات الرؤية .

(٤٨) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية (٤٦ ت: عمر محمود)

(٤٩) الجامع لأحكام القرآن (٨/٤٥)

(٥٠) رواه مسلم في صحيحه/كتاب الفتن/باب ذكر ابن صياد (ح/١٦٩)

(٥١) انظر : تفسير الرازي (١٣/١٠٣)

(٥٢) الإبانة (٦٣ ت: عيون)

(٥٣) انظر : مفتاح الوصول للتلمساني (٥٥٥ ت: فركوس)

(٥٤) انظر : شرح أصول السنة للالكائي (٢/٤٦٦-٤٦٩) حيث ذكر ذلك عنهم .

(٥٥) انظر : شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي برقم (٨٩٤) .

(٥٦) الرد على الجهمية (٨٧ ضمن عقائد السلف) ؛ وانظر : الشريعة للآجري برقم (٩٨٦) .

(٥٧) في كتابه: الرد على الجهمية (٨٧ : البدر) وكتابه: الرد على المريسي (٣٦٧ ت: الألمعي)

(٥٨) في الإبانة (٤٨، ٦٣، ت: بشير عيون)

(٥٩) في كتابه: نكت القرآن (١/٤٤٠) والكرجي هو أبو أحمد؛ محمد بن علي الشهير بالكرجي (بلدة في غرب إيران) وبالقصاب لكثرة ما قتل من الكفار ، أحد أعلام السنة ، ينسب له كتابة الاعتقاد القادري المنسوب للخليفة القادر ، من كتبه نكت القرآن وغيره توفي حدود ٣٦٠هـ ، انظر : سير النبلاء (١٦/٢١٣)

(٦٠) أحكام القرآن للشافعي (٥٣-٥٤) ؛ وانظر : الإبانة لابن بطة (٣/٦٠ تتمة الجهمية) وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي برقم (٨٨٣) ؛ والانتقاء لابن عبد البر (١٣٢، ١٣٥-١٣٦) ، وفتاوى ابن تيمية (٦/٤٩٩) ، وحادي الأرواح (٢٣٢-٢٣٣) ، وتُروى نحو هذه العبارة عن مالك كما في شرح أصول السنة للالكائي برقم (٨٠٨) ، وذكر ابن تيمية في الفتاوى (٦/٤٩٩) أن ابن بطة رواها عن مالك! بيد أني لم أجده في المطبوع من الإبانة.

(٦١) الرد على المريسي للدارمي (٥٤٦، ضمن عقائد السلف ، وانظر: ٥٢٨)

(٦٢) نسب له ذلك النسفي في تبصرته (٤٣٥) ، ولم أجد في كتب الأشعري الموجودة اليوم سوى قوله في الإبانة في معرض مناقشته لمنكري الرؤية (ص:٧١ ، ت: عيون): (... فيقال لهم : الآية تنفي أن تراه الأبصار، ولا تنفي أن يراه المبصرون ، وإنما قال الله عز وجل : {لا تدركه الأبصار} فهذا لا يدل على أن المبصرين لا يرونه على ظاهر الآية) أ.هـ . وقد ذكر هذا القول بعض الأشاعرة، كالباقلاني في الإنصاف (١٨٤) ، والرازي في التفسير (١٣/١٠٥) دون أن ينسباه للأشعري .

(٦٣) بيان تلبيس الجهمية (٣٥٨/١) وانظر: حادي الأرواح لابن القيم (٣٢٧ ت: الجميلي) والوعد الأخروي للدكتور عيسى السعدي (١٨٥/١)

(٦٤) انظر تفسير ابن جرير (١٢/١٩-٢٠) ، وعنه الماوردي في تفسيره (١٥٢/٢- ١٥٣) ، وانظر : الإنصاف للباقلاني (١٨٤) ، دون أن ينسبوه لأحد إلا أن الباقلاني ذكره بصيغة التضعيف (قيل) .

(٦٥) انظر : التبصير للطبري (٢١٦) والمغني لعبد الجبار (١٢٩/٤) ، والأساس لعقائد الأكياس للقاسم بن محمد (٧٩) ، وتفسير الرازي (١٠٣/١٣، ١٠٥) والفرق بين الفرق للبغدادي (٢١٤) ، والملل والنحل للشهرستاني (٩١).

(٦٦) انظر: الفرق بين الفرق (٢١٤) ، والملل والنحل للشهرستاني (٩١)

(٦٧) يحيى بن الحصين الأحمسي البجلي تابعي ثقة من الرابعة كما يقول ابن حجر ، روى عن طارق بن شهاب الأحمسي وجدته أم الحصين الأحمسية ، وروى عنه شعبة بن الحجاج وأبو إسحاق السبيعي وثقه ابن معين وأبو حاتم والنسائي ، وذكره بن حبان في الثقات، روى له مسلم وأبو داود والنسائي وبن ماجة انظر تهذيب الكمال للمزي(٢٧١/٣١)

والقول المذكور أعلاه رواه عنه ابن حاتم في تفسيره (١٣٦٣/٤) ، وربما عبر بعضهم بالقلوب أو بالبصيرة مكان العقول ، انظر زاد المسير (٦٨/٣) ، ومفردات الراغب (مادة:درك) ،وبصائر ذوي التمييز (١٣٠/٢)

(٦٨) انظر : التبصرة النسفية (٤٣٧) وانظر: مقالات الأشعري (٢١٥) والفصل لابن حزم (٨/٣) ،

(٦٩) التعبير (بكنه الحقيقة) مروي عن الزجاج ، انظر : معاني القرآن للنحاس (٤٦٧/٢) ، وتفسير القرطبي (٥٤/٧) والبحر المحيط لأبي حيان .

(٧٠) انظر: تفسير ابن جرير (١٢/١٣-١٤) ورواه عن المذكورين أعلاه .

(٧١) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٩٨/٣ط: المكتب الإسلامي) والبحر المحيط لأبي حيان (٢٣٢/٥).

(٧٢) انظر : كتاب التوحيد للماتريدي (٨١) ولمع الأدلة للجويني (١١٧) وتبصرة الأدلة للنسفي (٤٣٧–٤٤١) ، والتمهيد للامشي (٨٥) ، وتفسير النسفي (٣٧/٢) .

(٧٣) انظر : دقائق التفسير (١٢٧/٢)

(٧٤) رواه ابن جرير في تفسيره (١٣/١٢) .

(٧٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤/١٢) .

(٧٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤/١٢) .

(٧٧) أخرجه الآجري في الشريعة برقم (٦٢٧) ، وحسن المحقق إسناده . ورواه الترمذي بنحو منه (ح/٣٢٧٩) وقال : حسن غريب

(٧٨) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٦٣/٤ ت: أسعد طيب) قال حدثنا أبو زرعة ثنا منجاب بن الحارث أنبأ بشر بن عمارة عن أبي روق عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ...الحديث . وقد ضعفه الألباني في السلسة الضعيفة برقم (٥٣٧٦) لضعف عطية العوفي وبشر بن عمارة .

(٧٩) انظر : تفسير الطبري (١٤/١٢) .

(٨٠) انظر : تفسير الطبري (١٥/١٢) ، والإنصاف للباقلاني (١٨٤) وشرح الطحاوية (٢١٥).

(٨١) الإبانة (٦٩ ت: عيون)

(٨٢) الشريعة للآجري (٢/١٠٤٨)

(٨٣) انظر : مجموع الفتاوى (١٦/٨٧-٨٨) وحادي الأرواح (٣٣٣-٣٣٤) ؛ وشرح الطحاوية (٢١٥) ، وقد سبق بيان العلاقة بين الإدراك والرؤية .

(٨٤) ما بين المعكوفين زيادة مني للإيضاح.

(٨٥) هكذا في الأصل ! ولعل الصواب : (يصف)

(٨٦) دقائق التفسير (٢/١٢٦) وانظر: درء التعارض (١/٢٣٧، ٣٧٤)

(٨٧) دقائق التفسير (٢/١٢٧)، والتفسير الكبير (٤/٢٤٣-٢٤٤) وانظر: الإبانة للأشعري (٦٩ ت: بشير عيون) حيث ألمح إلى المعنى الصحيح للإدراك . بيد أن ابن فورك ذكر في المجرد (ص:٨٠) أن بعض الأصحاب [الكلابية] يرون أن الإدراك بالبصر يقتضي الإحاطة بالمدرك وأن الله يُرى بالبصر ولا يدرك به .

(٨٨) فتح الباري (١/١٣٥)

(٨٩) انظر : الحق الدامغ للشيخ أحمد لخليلي الإباضي (مفتي عمان) ص (٧٠) حيث زعم أن تفسير الإدراك بالإحاطة لم يرد عن السلف !

(٩٠) دقائق التفسير (٢/١٢٧) ، والتفسير الكبير (٤/٢٤٣-٢٤٤)

(٩١) نبّه الإمام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في كثير من كتبه على هذه القاعدة . انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/١٠٩، ٣٧٤، ٧، ١٢٣) ومجموع الفتاوى (٥/١٢٣) وبغية المرتاد (٣٥٩) وغيرها من المواضع . وذكر له مترجموه رسالتين في هذه المسألة ؛ إحداهما بعنوان : (قاعدة في أن كل **آية** يحتج بها مبتدع ففيها دليل على فساد قوله) والأخرى بعنوان: (قاعدة في أن كل **دليل عقلي** يحتج به مبتدع فيه دليل على بطلان قوله) انظر: أسماء مؤلفات ابن تيمية ، المنسوب لابن القيم ! (ص:٢١ برقم: ٣٠، ٣١) والعقود الدرية لابن عبد الهادي (٥٥). وهاتان الرسالتان في حكم المفقود!